JOURNAL OF THE FACULTY OF TOURISM AND HOTELS

المجلة العلمية لكلية السياحة والفنادق
العدد الثالث عشر، اصدار٢، (٢٠١٦)
الرقم الدولى التسلسلى: ٢٣١٤-٧٠٢٤

توظيف الأعمدة الجرانيتية في عمائر دولة المماليك البحرية (٦٤٨-٧٨٤هـ/١٢٥٠-١٣٨٢م) دراسة أثرية تحليلية*

رضوى زكي
باحث- مركز دراسات الكتابات والخطوط – مكتبة الإسكندرية

هبه محمود سعد
أستاذ- قسم الإرشاد السياحي- كلية السياحة والفنادق- جامعة الإسكندرية

كمال عناني
أستاذ- قسم الأثار المصرية والإسلامية- كلية الآداب- جامعة الإسكندرية

ملخص البحث

تمثل الأعمدة وتيجانها أحد أبرز العناصر الإنشائية بالعمائر الإسلامية، وقد أُعيد توظيف جانب كبير من الأعمدة القديمة في العمائر الإسلامية بمدينة القاهرة، سواء كانت أعمدة كاملة، أو تيجانها، رخامية كانت أو جرانيتية، رومانية أو بيزنطية أو مصرية الطراز. وقد اسُتخدمت الأعمدة الجرانيتية، وبخاصة المتوجة بالتيجان المصرية الطراز، في بعض عمائر دولة المماليك البحرية (٦٤٨-٧٨٤هـ/١٢٥٠-١٣٨٢م) في مواضع شتى، وبأحجام متفاوتة في تلك المنشآت. وتهدف هذه الورقة البحثية إلقاء الضوء على العمائر التي استُخدمت بها أعمدة جرانيتية منقولة، ومواضع الأعمدة الجرانيتية بتلك المنشآت، ومصادرها، وأسباب استخدامها في عمائر دولة المماليك البحرية.

الكلمات الدالة: *الأعمدة – الجرانيت – دولة المماليك البحرية – العمارة الإسلامية – المعماري المسلم*

مقدمة

العمود –جمعه في القلة أعمدة وفي الكثرة عمد–هو ما يحمل السقف غير الحائط، والعمود في العمارة هو أحد العناصر الرئيسية لرفع البناء، ويتخذ شكل البدن في الغالب الشكل الأسطواني أو المربع أو

*هذا البحث نشر كنتاج لمؤتمر طلاب الدراسات العليا بكلية السياحة والفنادق جامعة الإسكندرية لتشجيع عرض ونشر الطلاب لأبحاثهم العلمية

المثمن (المضلع)، ويكون بدن العمود من الرخام أو الجرانيت.[١] يفصل البدن عن السقف تاج العمود، وعن الأرض قاعدة العمود. وتاج العمود هو ما كان أعلاه متممًا ومزينًا له، وهو أكثر العناصر المميزة للعمود، وتختلف زخارفه باختلاف الطابع الفني لكل طراز معماري. أما قاعدة العمود فهي ما يقوم عليه حمل العمود، ولتحميل ضغط هذا الثقل على الأساسات بشكل أفضل، وحفظ الأعمدة من الرطوبة أو المياه الجوفية. وإذا اختلفت ابدان الأعمدة في المقاسات أمكن من خلال تلك القواعد تعويض ذلك الاختلاف بالتطويل أو التقصير في القاعدة ذاتها.[٢] وتعتبر الأعمدة القديمة وتيجانها بوجه عام أهم العناصر المعمارية التي أعيد استعمالها في بناء العمائر الإسلامية بمصر والأقطار المفتوحة، فدخول الإسلام في المدن ذات الحضارات السابقة كان داعيًا إلى استخدام بعض من مواد البناء القديمة المتوفرة بمقربة منهم، مثلهم في ذلك مثل كل الحضارات السالفة.[٣]

ويطلق اسم حجر الجرانيت أو الصوان[٤] على طائفة كبيرة من الأحجار المتبلورة البركانية الأصل غير المتجانسة في تركيبها، ذات ألوان مختلفة والذي تتخذ منه الأساطين والأعتاب، ويستخرج هذا الحجر في مصر من محاجر أسوان وسيناء وبعض المحاجر الأخرى.[٥] وقد أشار ابن إياس إلى الصوان ضمن ذكره لما اشتهرت به مصر في عصرها الإسلامي من أنواع الأحجار التي أمكن استغلالها في مصر فقال: "**وبها حجر الصوان المانع، الذي يعمل منه الأعمدة والأعتاب؛ وحجر الطواحين، والمعاصر ولا يوجد هذا في بلد غير مصر**".[٦]

ولم نعهد منذ دخول العرب لمصر استخراج الأحجار الضخمة من محاجرها بوجه عام، ولم يدل تاريخهم على استغلالهم لحجر الجرانيت الخام، لذا فكان السبيل الوحيد لدى المسلمين لتوفير احتياجهم من الجرانيت هو إعادة استخدام ما كان موجود منه في الآثار القديمة في هيئة أعمدة أو آثار فرعونية.[٧] وقد كانت الأعمدة الرخامية المنقولة هي أكثر أنماط الأعمدة القديمة شيوعًا في بناء العمائر الإسلامية، ولم نعهد استخدام الأعمدة الجرانيتية المصرية الطراز في بناء العمائر الإسلامية قبل العصر الأيوبي. وقد كان السلطان الأيوبي الملك الصالح نجم الدين أيوب (٦٣٧-٦٤٧هـ/ ١٢٤٠-١٢٥٠م) أول حكام مصر الإسلامية الذي عني بنقل الأعمدة الجرانيتية الضخمة من معابد الصعيد؛ فعند شروعه في بناء قلعة الروضة استحضر عمد الصوان الضخمة من المعابد المصرية،[٨] وحدد مصدرها ابن إياس فذكر أنها من معابد مدينة أخميم.[٩] ولم تلبث قلعة الروضة أن نقُضت بعد وفاة الصالح نجم منذ بدء عهد دولة المماليك البحرية لتعمير منشآت جديدة كما سيتضح لاحقًا.

أولاً: توظيف الأعمدة الجرانيتية في عمائر دولة المماليك البحرية

امتازت مصر واختصت عن بواقي الحواضر الإسلامية الأخرى باستخدام الأعمدة الجرانيتية المصرية الطراز والطابع في عمارة منشآتها منذ عهد دولة المماليك البحرية ولاحقًا، وهو ما قد ينم عن نوع من

أنواع الاهتمام بالتراث الأثري لمصر القديمة، ويشير إلى إلتفات سلاطين دولة المماليك البحرية لقيمة ووظيفة الأعمدة الجرانيتية المصرية منذ عهد الأسرة القلاوونية.

١- الأعمدة الجرانيتية بمنشأة المنصور قلاوون الألفي

يعد السلطان المنصور قلاوون الألفي (٦٧٨-٦٨٩هـ/ ١٢٧٩-١٢٩٠م)[١٠] أول سلاطين المماليك البحرية ممن أدخل في عمارة مجموعته بالنحاسين (مدرسة وقبة ضريحية وبيمارستان)[١١] الأعمدة الجرانيتية المنقولة من قلعة الروضة؛ حيث عمد قلاوون إلى نقل الأعمدة ومواد البناء من تلك القلعة، كما يحدثنا المقريزي قائلاً: "... **فلما تسلطن الملك المنصور قلاوون الألفي وشرع في بناء المارستان والقبلة والمدرسة المنصورية، نقل من قلعة الروضة هذه ما يحتاج إليه من عمد الصوّان وعمد الرخام التي كانت قبل عمارة القلعة في البرابي،**[١٢] **وأخذ منها رخاماً كثيراً وأعتاباً جليلة مما كان فيه البرابي وغير ذلك...**".[١٣] تقوم القبة الضريحية للمنصور قلاوون على أربعة أعمدة ضخمة متقابلة من الجرانيت الوردي ذات تيجان كورنثية ضخمة مذهبة، ويبلغ طول أبدان تلك الأعمدة ما يزيد عن سبعة أمتار (شكل ١، لوحة ١). كما يوجد بالفناء الذي يتقدم القبة الضريحية ستة أعمدة جرانيتية متوجة بتاج كورنثي. ويحمل الرواق الأوسط من إيوان القبلة بالمدرسة المنصورية كذلك ستة أعمدة من الجرانيت الأسواني الوردي، مرتبة في ثلاث صفوف ومتوجة بتاج كورنثي (لوحة ٢)، فضلاً عن عمودين من الجرانيت الأسود يكتنفان محراب المدرسة المنصورية ذو تيجان كورنثية الطراز كذلك.[١٤]

٢- الأعمدة الجرانيتية بمنشآت الناصر محمد بن قلاوون

انتهج السلطان الناصر محمد بن قلاوون[١٥] نهج والده في توظيف الأعمدة الجرانيتية في غالب عمائره؛ فقد نقل الأعمدة الجرانيتية من قلعة الروضة كما نقل بعض المؤرخين: "... **ثم أخذ منها [أي قلعة الروضة] السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ما احتاج إليه من عمد الصوّان في بناء الإيوان المعروف بدار العدل من قلعة الجبل، والجامع الجديد الناصري ظاهر مدينة مصر، وأخذ غاير ذلك حتى ذهبت كأن لم تكن**".[١٦] وقد استخدم الناصر محمد ستة أعمدة من الجرانيت الأسود في مدرسته وقبته الضريحية بالنحاسيين[١٧]؛ فنجد عمودان يكتنفان محراب قبلة المدرسة (لوحة ٣)، وعمودان على جانبي محراب قبلة القبة الضريحية، وعمودان بمؤخرة القبة الضريحية متقابلان مع عمودي محراب القبلة.[١٨] وتلك الأعمدة تكاد تتطابق مع أعمدة محراب المدرسة المنصورية، مما يدل على أنها مجلوبة من نفس المصدر وهو قلعة الروضة.

وقد شرع الناصر محمد في بناء الجامع الناصري الجديد وكُملت عمارته في ٧١٢هـ/ ١٣١٢م، وكان موقعه على شاطئ النيل في ضواحي الشمالية للفسطاط. وقد اختفي هذا المسجد منذ قرون؛ إلا أن

المؤرخ ابن دقماق قام بوصفه تفصيليًا، وأشار لوجود عمد جرانيتية متباينة في الطول في معرض حديثه عن أعمدة المسجد كالتالي: "**جملتها مائة عمود وسبعة وثلاثون عمودًا منها عمد القبة عشرة كبار صوّان ومنها ما بين القبة وسطح الجامع ثمانية صوانًا أيضًا دون الأول في الطول والغلظ**"[١٩]. ونستدل بذلك على وجود عشرة أعمدة جرانيتية ضخمة برواق القبلة كانت وظيفتها حمل القبة التي كانت تعلو المحراب، وهي أكبر الأعمدة، وثمانية أعمدة جرانيتية أخرى أصغر حجماً. أما المقريزي فأشار لوجود عشرة أعمدة جرانيتية ضخمة حين قام بوصف المسجد: "... **وفيه مائة وسبعة وثلاثون عمودًا منها عشرة من الصوان غاية في السمك والطول**".[٢٠] ومصدر الأعمدة كما سبق الإشارة هي عمد معابد الصعيد التي كانت كائنة بقلعة الصالح نجم الدين بالروضة.

ويعتبر جامع الناصر محمد بن قلاوون بقلعة الجبل[٢١] هو المنشأة المملوكية البحرية الوحيدة في القلعة التي لا تزال قائمة بأكملها، شُيد هذا المسجد على طراز الصحن الأوسط المكشوف الذي تحيطه أربعة أروقة أكبرها رواق القبلة، وتقوم تلك الأروقة على أربعة وسبعون عمودًا مختلفة الأحجام والطرز. وأهم ما يميز رواق القبلة وجود عشرة أعمدة فرعونية جرانيتية ضخمة الارتفاع تقارب الثمانية أمتار[٢٢] لتحمل القبة التي تتقدم المحراب، وهي تشابه الأعمدة الجرانيتية بالقبة الضريحية للمنصور قلاوون، وهذه الأعمدة المذكورة متوجة بتيجان تحاكي زخارف التاج الكورنثي (شكل ٢، لوحة ٤).[٢٣]

ومصدر تلك الأعمدة معابد مدينة الأشمونين بصعيد مصر؛ فقد قام الناصر بتكليف أمراء الصعيد بجمع عددًا من الأعمدة الجرانيتية القديمة وإرسالها بالسفن عبر النيل إلى القاهرة لبناء جامعه بالقلعة، كما ذكر المؤرخ ابن الدوادري قائلاً: "... **وأَحضر لهذا الجامع أعمدة عظيمة كانت منسية بمدينة الأشمونين بالوجه القبلي من أعمال الديار المصرية وكانت هذه الأعمدة في البربا التي بمدينة الأشمونين من عهد الكهنة. وأن نقل هذه الأعمدة من الأشياء التي حارت فيها العقول...**".[٢٤]

أما القصر الأبلق[٢٥] والذي بناه الناصر محمد بن قلاوون بين عامي ٧١٣-٧١٤هـ/١٣١٣-١٣١٤م،[٢٦] فقد بات واحدًا من أهم المنشآت المملوكية المندثرة بالقلعة، وقد اندثر هذا القصر مع ما اندثر من منشآت بعد أن هُدم ليقام في موضعه جامع محمد على باشا بالقلعة. وبفضل وصف علماء الحملة الفرنسية، يُفهم أن القصر الأبلق كان محمولاً على عدد من الأعمدة الجرانيتية كالتالي: "**أهم مباني القلعة هو ما جرت العادة على تسميته "بقصر يوسف"... لا تزال تبدو عليه آثار العظمة والفخامة... يضم قاعة يزينها اثنا عشر عمودًا ضخمًا من الجرانيت يعلوها قبة بها نقوش أحرف مذهبة...**"[٢٧]، ولا نعرف عن تلك الأعمدة الاثني عشر شيئًا سوى الوصف السابق، ويرجح أنها كانت من نفس طراز أعمدة الإيوان الناصري والمسجد.

ويبرز الإيوان[٢٨] الناصري الكبير أو دار العدل كأعظم عمائر السلطان الناصر محمد بن قلاوون، وكان موقعه بمواجهة جامع الناصر محمد بالقلعة تجاه الشمال-الشرقي الذي يشغله متحف الشرطة حاليًا. شرع الناصر محمد في إعادة بناءه ثلاث مرات، فكانت الأخيرة بين عامي ٧٣٤-٧٣٥هـ/ ١٣٣٤-

١٣٣٥م. وقد كان للإيوان في عهد الناصر محمد عدة وظائف؛ فهو مكان عرض موكب المماليك على السلطان، ومقر لاستقبال السفراء والضيوف من الأجانب، فضلاً عن وظيفته كقاعة للقضاء، ومحل النظر في الشكاوى،[٢٩] وبالتالي كان يجب أن يتسم بناء هذا المنشأة بالفخامة والضخامة، –التي حققها الناصر باستخدامه للعمد الجرانيتية الضخمة– بقصد التأثير على أهل البلاد والأجانب من السفراء والأمراء والملوك، وبعث الاحترام والإجلال في نفوسهم، فقد كان الإيوان الناصري رمزًا لقوة السلطة المملوكية الممثّلة في دولة الناصر محمد بن قلاوون في تلك الفترة.

ومن وصف بعض المؤرخين نجد إشارات عن تخطيطه وأعمدته الضخمة ومصادر تلك الأعمدة؛ فنجد المقريزي يصفه بقوله "**فلما عمل الملك الناصر محمد بن قلاوون .... أنشأ به قبة جليلة، وأقام به عُمداً عظيمة نقلها إليه من بلاد الصعيد...**"[٣٠] مما يشير إلى ارتفاع بنيان الإيوان وضخامته بسبب عمده العظيمة التي جُردت من المعابد الفرعونية، وكان مصدر تلك الأعمدة أما من قلعة الروضة التي استخدمها الناصر كمصدر للأعمدة طبقًا لابن إياس،[٣١] أو يُرجح أن مصدرها معابد بلاد الصعيد وفقًا لإشارة المقريزي السالفة الذكر.[٣٢] وقد عرُفت الصورة الأقرب لتخطيط الإيوان بفضل العلماء المرافقون للحملة الفرنسية، فقد كان الإيوان ما زال قائمًا زمن الحملة الفرنسية على مصر (١٧٩٨–١٨٠١م)، وأشاروا إليه بشيء من التفصيل: "...**والذي ضمن لهذا الأثر شهرة لدى الرحالة وعلى وجه الخصوص أعمدته الجرانيتية الجميلة الاثنان والثلاثون، ... ولا تزال جميع الأعمدة قائمة، وكل منها عبارة عن كتلة حجرية واحدة، يبلغ ارتفاعها ثمانية أمتار تقريبًا، أما قواعدها فهي من الحجر الرملي، منحوتة بشكل رديء. ولم تكن تلك الأعمدة مصممة من أجل هذا الأثر؛ فالقطر ليس متماثلاً تمامًا في جميعها، وفي الغالب يصل إلى المتر. وإننا لنعجب حقًا من حجم الأعمدة وصقل مادتها والوقت والجهد الذين افتضاهما نقلها إلى هذا الارتفاع الشاهق...**"[٣٣] (شكل ٣، لوحة ٥).

وبالنظر للوصف السابق نتبين أن آخر عدد للأعمدة القائمة[٣٤] سجله علماء الحملة الفرنسية هو اثني وثلاثون عمودًا من الجرانيت الأحمر الشاهق الارتفاع، حتى ليصل طول الأعمدة بالتاج إلى ما يفوق الثمانية أمتار، وقطرها يقرب من المتر. مما يظهر من جانب الجهد الشاق المبذول لنقل وإقامة تلك الأعمدة، وحرص الناصر محمد على استخدام العمد الجرانيتية الضخمة في عمائره السلطانية لتتسم بالمهابة من جانب آخر. وقد قامت تلك الأعمدة على قواعد مزخرفة بشكل بدائي، وجاءت التيجان قريبة الشبه بالطراز الكورنثي. وكما يظهر من النصوص التاريخية السابقة؛ كان أهم ما جذب انتباه الرحالة والمؤرخين في العصور المتعاقبة للإيوان هو عمده الضخمة الشاهقة التي اكسبته صفة الضخامة والقوة، وتماشت مع منشآت الناصر الأخرى بالقلعة؛ الجامع والقصر الأبلق.

٣- الأعمدة الجرانيتية في مسجد ألماس الحاجب

وقد أصبح توظيف الأعمدة الجرانيتية المصرية إحدى سمات البناء في عهد الناصر محمد سواء فيما عمّر من منشآت باقية ومندثرة، أو ما شيده بعضًا من أمرائه كالأمير ألماس الحاجب[٣٥] الناصري والذي بنى مسجده المعروف باسم مسجد الأمير ألماس الحاجب[٣٦]. يتبع المسجد التخطيط المكون من صحن مكشوف تحيط به الأروقة من جهاته الأربعة، وبوائك تلك الأروقة تقوم بدورها على ثمانية وعشرون عمودًا، نجد من ضمنهم أربعة أعمدة جرانيتية في أركان الأروقة متوجة بتيجان كورنثية الطراز، ولم تُشر المصادر التاريخية للمصدر الأصلي الذي نُقلت منه هذه الأعمدة للمسجد (لوحة ٦).[٣٧]

٤- الأعمدة الجرانيتية في مسجد الطنبغا المرداني

يتصف مسجد الطنبغا المرداني[٣٨] بكونه أحد أهم المساجد المملوكية التي دخل في بنائها أعمدة جرانيتية كاملة بتيجانها المصرية الطراز، وقد شيد على طراز المساجد الجامعة ذات الصحن المكشوف الذي يحيط به أربعة أروقة أكبرها رواق القبلة، وهو يشبه لحد كبير مسجد الناصر محمد بالقلعة في تخطيطه وطراز عمده الجرانيتية (شكل ٤). ويرجح أن أعمدة المسجد الجرانيتية قد نُقلت مع مثيلتها من معابد الأشمونين والصعيد إلى القاهرة؛[٣٩] حيث أشار المقريزي أن السلطان الناصر محمد قد أهدى المرادني مواد البناء التي احتاجها لبناء المسجد حين قال: "**حُمل إليه من الأخشاب والرخام من جهة السلطنة**"[٤٠]. ويقوم هذا المسجد على أثني وستون عمودًا ما بين أعمدة رخامية وجرانيتية غالبها قديمة، فيوجد برواق القبلة ثمانية أعمدة جرانيتية ضخمة ذات تيجان مصرية على هيئة التاج المركب أو على هيئة السعف تتقدم المحراب، فضلاً عن مجموعة من الأعمدة الجرانيتية الوردية التي تطل من رواق القبلة على صحن المسجد. وتختلف تيجان وقواعد تلك الأعمدة إلى حد كبير بسبب اختلاف أطوالها وأحجامها؛ فبعض التيجان على الطراز المصري النباتي وهو طراز غير مألوف في العمارة الإسلامية، بينما نجد جزء آخر من تلك الأعمدة الجرانيتية لا يعلوها تاج نظرًا لأنها أطول من باقي الأعمدة، وتقوم على أرضية المسجد مباشرة بلا قاعدة (لوحة ٧).[٤١]

٥- الأعمدة الجرانيتية بمسجد الست مسكة (حدق)

ونشهد العمد الجرانيتية أيضًا بمسجد الست مسكة[٤٢] والذي يتبع تخطيطه طراز الصحن المكشوف يحيطه أربعة أروقة، إذ يوجد بأركان تلك الأروقة أربعة أعمدة من الجرانيت الوردي ذات تيجان كورنثية بدون قواعد، حيث تقوم تلك العمد على أرضية المسجد مباشرة نظرًا لاختلاف أطوالها عن الأعمدة الرخامية الأخرى القائمة بالمسجد (لوحة ٨).[٤٣]

٦- الأعمدة الجرانيتية بمسجد آق سنقر

يتكون تخطيط مسجد آق سنقر[٤٤] من صحن مكشوف تحيطه أربعة أروقة؛ وتقوم تلك الأروقة على أعمدة رخامية وجرانيتية ودعائم من الحجر، ويطل رواق القبلة على الصحن بعمودين من الجرانيت ذو تيجان كورنثية تقوم على أرضية المسجد مباشرة دون قواعد (لوحة ٩).[٤٥]

ثانيًا: دراسة تحليلية لظاهرة توظيف الأعمدة الجرانيتية في عمائر دولة المماليك البحرية

١- مصادر الأعمدة الجرانيتية في العصر المملوكي البحري

كان لبعض الروايات التاريخية دورًا هامًا في إلقاء الضوء على بعض مصادر الأعمدة الجرانيتية التي استعملت في بناء بعض منشآت سلاطين المماليك البحرية؛ فكما سبقت الإشارة كانت "**معابد إخميم**" أول مصادر الأعمدة الجرانيتية المصرية الطراز حيث نقل السلطان الأيوبي الملك الصالح نجم الدين الأعمدة الضحمة إلى قلعته التي أنشأها بجزيرة الروضة، والتي صارت بعد وفاته مصدرًا لمواد البناء الجليلة خلال عصر سلاطين المماليك البحرية؛ أي أن تلك الأعمدة أعيد توظيفها أكثر من مرة، لتستقر اليوم بمنشآت الملك المنصور وابنه الناصر محمد. كما كانت أعمدة **معابد الأشمونين** الجرانيتية الضخمة سببًا لتعمير أهم منشآت القلعة في عهد الناصر محمد؛ الجامع والقصر الأبلق والإيوان الكبير.

وفيما عدا ما علمناه عن نقل الأعمدة الجرانيتية المصرية من معابد إخميم والأشمونين، فقد صمتت المصادر التاريخية عن الإشارة إلى مصدر الأعمدة في باقي المنشآت الإسلامية التي دخل في بنائها عمد الجرانيت في عهد سلاطين المماليك البحرية ولاحقًا، ويصعُب الاستدلال على مصدر تلك الأعمدة، وبخاصة كونها تختلف في الارتفاع والحجم عن الأعمدة الجرانيتية المجلوبة من معابد الصعيد المشار إليها لمقاربتها في الحجم من الأعمدة الرخامية القديمة الكلاسيكية الطراز.

ويُعتقد أن أبرز مصادر الأعمدة الجرانيتية القديمة هي الآثار المصرية القديمة بمدينتي منف أو عين شمس، باعتبارهما أقرب قواعد الآثار القديمة من العاصمة الإسلامية القاهرة. ويشير لهذا الرأي علماء الحملة الفرنسية تعليقًا على ما لاحظوه من كثرة وجود أعمدة جرانيتية بمدينة القاهرة، وأوضحوا كيف كان من الصعوبة بمكان تحديد مصادر تلك الأعمدة وإن نسبوا معظمها لمنف وهليوبوليس كالتالي: "**كما وجدنا على أبواب القاهرة العديد من الأعمدة الجرانيتية وعلى الأخص بالقرب من مصدر مياه القناة، حيث يوجد حوالى خمسة عشر أو عشرين عمودًا من هذه المادة الثمينة... ولكن بعض تفاصيل ذات الأسلوب الفظ التي أضيفت إلى الأعمدة تجعلنا نعتقد أن العرب قد وضعوا لمساتهم عليها... وعلى ذلك يصبح من الصعب معرفة تاريخ أو طبيعة المبنى التي تنتمي إليها هذه الأعمدة الجميلة، وكذلك الأثر القديم الذي نزعت منه في البداية، كما يجهل المرء إن كانت هذه الأعمدة قد قدمت من منف أو هليوبوليس أو مكان آخر**".[٤٦]

٢- مواضع الأعمدة الجرانيتية بمنشآت دولة المماليك البحرية

بالنظر إلى المنشآت المملوكية محل الدراسة السابقة نجد أن أبرز المواضع التي شغلتها الأعمدة الجرانيتية برواق القبلة في المساجد أو بأركان الأروقة الأربعة، فقد كان هناك احتياجًا في مواضع محددة بالمنشآت الإسلامية لأعمدة قوية لتخفيف حمل الأسقف أو لإضفاء نوع من أنواع الضخامة على تلك المنشآت؛ فنشهد الأعمدة الجرانيتية الضخمة ذات التيجان الكورنثية المذهبة تحمل القبة الضريحية للمنصور قلاوون، واستعملت الأعمدة الجرانيتية الشاهقة بمسجد الناصر محمد برواق القبلة لتحمل القبة التي تتقدم المحراب، كما استخدمت الأعمدة الجرانيتية كذلك بجامع الطنبغا المرداني برواق القبلة، بينما باقي الأعمدة الرخامية الأقل طولاً وقطرًا بالأروقة الأخرى بالمسجد. فكان الداعي الرئيسي لاستعمال الأعمدة الجرانيتية في المنشآت الإسلامية لكونها مصنوعة من الجرانيت وهي مادة شديدة الصلابة، بينما كانت الأعمدة الرخامية القديمة تستخدم في أي موضع من مواضع المنشأة وفقًا للاحتياج إليها. كما وجدت الأعمدة الجرانيتية أحيانًا بمواضع أخرى على جانبي محراب القبلة كعمودي محراب المدرسة المنصورية ومدرسة وقبة الناصر محمد بن قلاوون.

٣- تعامل المعماري المسلم مع الأعمدة الجرانيتية في المنشآت المملوكية

تشهد بعض العمائر الإسلامية بمدينة القاهرة درجة عالية من التكيف في البناء بالأعمدة المجلوبة من المباني القديمة، وبوجه عام تطلبت إعادة توظيف بعض الأعمدة القديمة إلى جهد وحيلة، ونجح في هذه المهمة المعماريون المسلمون حين قاموا بالتأليف بين أبعاد تلك العمد، ومعالجة أوجه النقص الهندسية بها، واستخدامها دليل على براعة المعماري المسلم الذي حاول بقدر المستطاع التوفيق بين هذا الشتات، واجتهد لتضييق التنافر بين الأعمدة في الأشكال والأحجام والطرز. وجدير بالذكر أن أطوال الأعمدة البيزنطية والرومانية المعاد استخدامها كانت في الغالب قصيرة، بينما كانت الأعمدة المصرية الطراز هي الأعمدة الأطول والأضخم، فيبلغ أطوال بعضها أكثر من سبعة أمتار دون التاج،[٤٧] فلجأ المعماري المسلم للمقاربة بين أطوال الأعمدة المتباينة بنفس المنشأة، سواء الأعمدة الكلاسيكية أو الأعمدة على الطراز الإسلامي جنبًا إلى جنب مع الأعمدة الجرانيتية. ولحل تلك المشكلة كانت الأعمدة تنصب على قواعد ذات ارتفاعات مختلفة لتتساوى في الارتفاع، أو تضاف أحيانًا قواعد حجرية أو طبالي خشبية أعلى تيجان الأعمدة، أو يتم الاستغناء عن قاعدة العمود وفقًا لتباين أطوال الأعمدة الجرانيتية كأعمدة القبة الضريحية للمنصور قلاوون، وأعمدة جامع الناصر محمد بن قلاوون بالقلعة، وكذلك أعمدة جامع المرداني الجرانيتية.

كما اتسمت تيجان الأعمدة الجرانيتية في منشآت سلاطين المماليك البحرية بالتنوع في طرزها، وإن جاء أغلبها مكللاً بالتاج الكورنثي، شأنها في ذلك شأن الأعمدة الرومانية والبيزنطية الكلاسيكية القديمة

المستخدمة بجانب كبير من أنماط العمائر الإسلامية. ويبرز التاج المصري النباتي الطراز لأول مرة متوجًا للأعمدة الجرانيتية الثمانية برواق القبلة بمسجد الطنبغا المرداني.[٤٨] كما نجد أن أعمدة جامع الناصر محمد بن قلاوون بالقلعة يعلوها تيجان مزخرفة بشكل سطحي لتحاكي زخارف التاج الكورنثي وهي من عمل المعماري المسلم.[٤٩]

٤- أسباب توظيف الأعمدة الجرانيتية بمنشآت دولة المماليك البحرية

كان الدافع الاقتصادي هو المعول الرئيسي وراء إعادة استخدام بعض العناصر المعمارية كمواد بناء لغيرها من المنشآت، وبخاصة في العالم الإسلامي في العصور الوسطى، حيث تم إنشاء عواصم إسلامية جديدة على أراضي ذات حضارات عريقة سابقة تضم آثارًا قائمة أو مهدمة.[٥٠] وعلاوة على ذلك فقد كانت صعوبة الحصول على العديد من مواد الخام مثل الجرانيت داعيًا لجلبه من عمائر قديمة وإعادة توظيفه فيما ينشأ من عمائر جديدة، فضلاً عن الحد من تكاليف عمارة المنشآت، ولما توفره من سرعة نسبية وقلة تكاليف البناء وبخاصة الأعمدة،[٥١] فالبناء باستخدام الأعمدة الجرانيت المصرية كان ميزة استغلها المعماري المسلم، وإن كان متأخرًا، فلم تعد هناك حاجة لاستغلال محاجر جرانيت أسوان على سبيل المثال. كما يعد التعجيل في بناء المنشآت أحد العوامل الهامة الدافعة لنقل العناصر المعمارية من منشأة لأخرى؛ فقد كان لاستخدام الآثار القديمة بجانب مواد البناء الجديدة المخصصة للمنشأة أثرًا واضحًا في الانتهاء من عمارة كثير من منشآت مدينة القاهرة، فنجد على سبيل المثال المجموعة المعمارية للمنصور قلاوون بما تشمله من مدرسة وضريح وبيمارستان تم بنائها خلال فترة تتراوح بين ثلاثة عشر شهر أو أقل وذلك نظرًا لنقل قلاوون مواد البناء والأعمدة الجرانيتية من قلعة الروضة كما سبق الإشارة.[٥٢]

وبجانب الدوافع التقليدية لإعادة استخدام الأعمدة القديمة السالفة الذكر؛ فنجد في بعض الأحيان أعمدة جرانيتية تنقل على مسافات بعيدة، حتى أن تكلفة نقل تلك الأعمدة قد تفوق تكلفة صنع أعمدة جديدة خصيصًا لأجل المنشأة الجديدة. وكان نقل أعمدة من مدينة الأشمونين إلى القاهرة بناء على طلب الناصر محمد لأمرائه مثالاً بارزًا لمدى الاهتمام بجلب الأعمدة المصرية من مواقعها الأصلية وإن كانت بالصعيد، فلم تكن إعادة استخدام الأعمدة القديمة سببها التساهل أو التكاسل من جانب المعماري المسلم، حيث كان نقل الأعمدة الضخمة حتى عبر النيل أمرًا صعبًا وشاقًا. فكان تحمل تكلفة ومشقة نقل تلك العناصر المعمارية القيمة على سبيل إظهار الفخامة والعظمة ولاعتبارات جمالية وقودها الشغف والإعجاب بآثار الحضارة المصرية القديمة.

وتتعلق الإشكالية الأخيرة في هذه الدراسة بسبب استخدام الأعمدة الجرانيتية المصرية منذ نهاية عهد

الدولة الأيوبية ثم في عصر سلاطين المماليك البحرية وصاعدًا، والإعراض التام عن توظيفها –وفقًا للشواهد المعمارية والمصادر التاريخية– في عمائر تعود لعصور أقدم.

يغلب الظن أنه منذ بداية عهد الإسلام وحتى عهد الدولة المملوكية الأولى لم تكن جماليات العمارة المصرية القديمة مستساغة لدى المسلمون منذ القرون الأولى للإسلام؛ فلم تستوحي العمارة الإسلامية من طرز الأعمدة المصرية الطرز وتيجانها المنتشرة في ربوع مصر أي نمط إسلامي، وإنما فضّل البنائين إعادة استخدام ونقل الأعمدة الكلاسيكية ذات التيجان النباتية الزخارف، وبالتحديد التاج الكورنثي والمركب. ولم يكن ذلك تقليدًا إسلاميًا بقدر ما كان موروثًا عن العمارة البيزنطية التي لم يعد فيها الطراز المصري القديم مقبولاً،[٥٣] ولم تستخدم الأعمدة الجرانيتية المصرية سوى في عدد من المنشآت منذ العصر المملوكي البحري مثل مجموعة المعمارية للمنصور قلاوون ومنشآت الناصر محمد الباقية والمندثرة، وبعض منشآت أمرائه كمسجد ألماس الحاجب والطنبغا المرداني. وللدلالة على هذه الفرضية أيضًا نجد أن غالب الكتل الحجرية الجرانيتية المستخدمة بأسوار وبوابات القاهرة الأيوبية والمملوكية استخدمت معكوسة على وجهها الآخر كدعامات لتوطيد البنيان، فقد كان الدور المنوط به تلك الكتل الحجرية هو تقوية وتدعيم البناء، وبالتالي كان التعامل معها من خلال كونها أحد العناصر الإنشائية في المقام الأول، بغض النظر عما تحمله من نقوش تصويرية وكتابات هيروغليفية. وعلى النقيض تم توظيف العديد من الكتل الجرانيتية الفرعونية المنقوشة بالهيروغليفية في منشآت دولة المماليك في مواطن بارزة بالمنشآت الإسلامية بشكل يشير لزيادة استخدام الكتل الجرانيتية في المنشآت لدورها كمادة بناء تمتاز بالمتانة والصلابة من جانب، وينم من جانب آخر عن تقبل لهذه الكتل الحجرية الفرعونية بما تتضمنه من نقوش وكتابات هيروغليفية بصورة أكبر عن العصور الإسلامية السابقة.[٥٤]

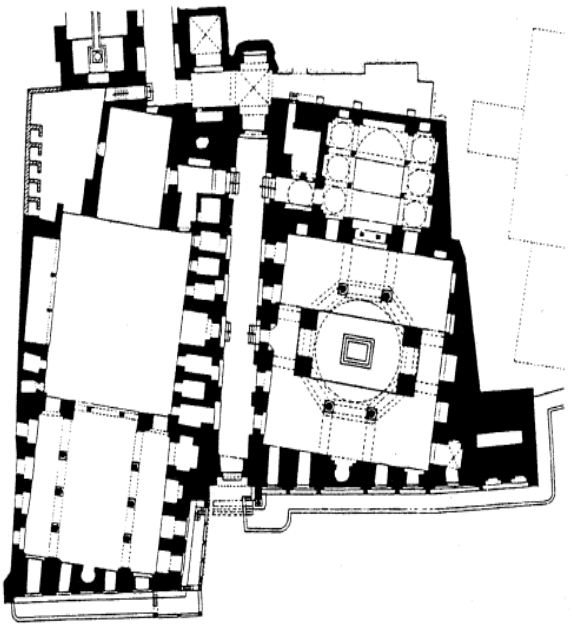

شكل ١: مجموعة المنصور قلاوون المعمارية – مسقط أفقي
نقلاً عن Creswell, *MAE*, II, fig 108

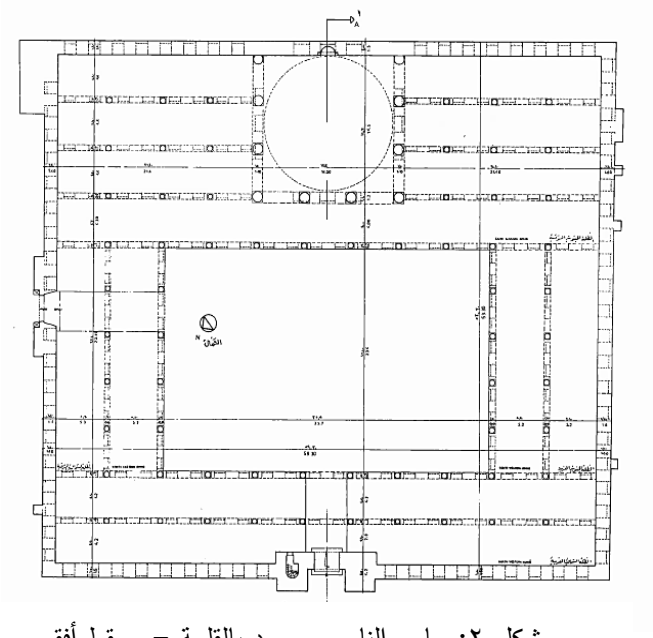

شكل ٢: جامع الناصر محمد بالقلعة – مسقط أفقي
نقلاً عن مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية، أسس التصميم المعماري، لوحة ١٤٣/١

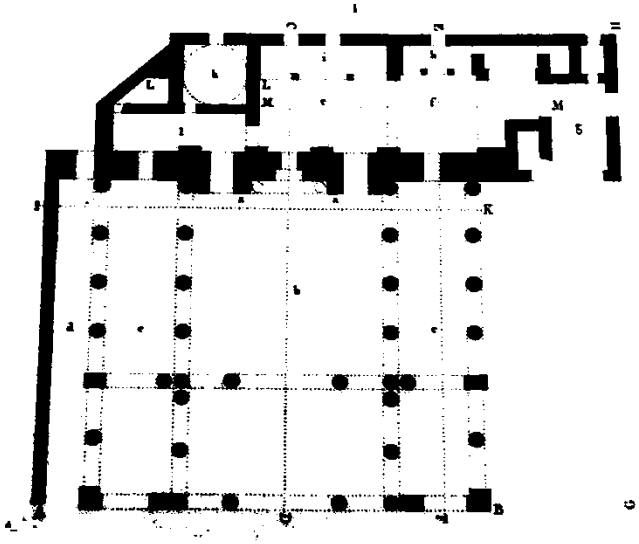

شكل ٣: الإيوان الكبير – مسقط أفقي برسم علماء الحملة الفرنسية
نقلاً عن وصف مصر، لوحات الدولة الحديثة، ج ١٣، لوحة ٧٢

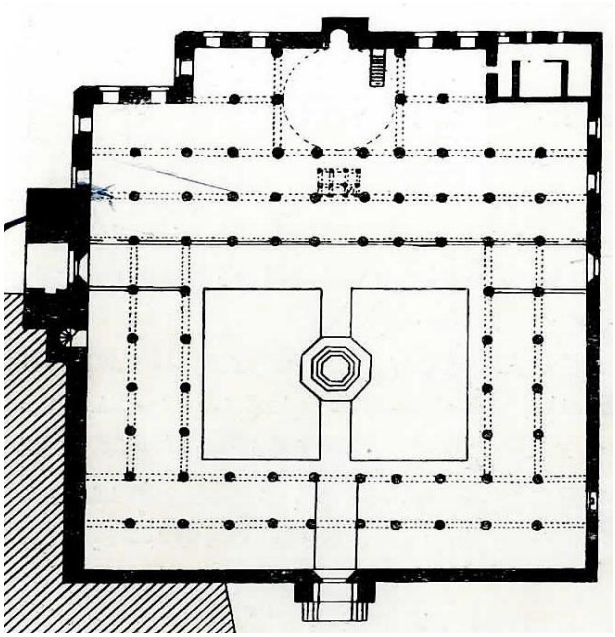

شكل ٤: جامع المرداني – مسقط أفقي
نقلاً عن كراسات لجنة حفظ الآثار العربية، ١٩٠٥، لوحة ١

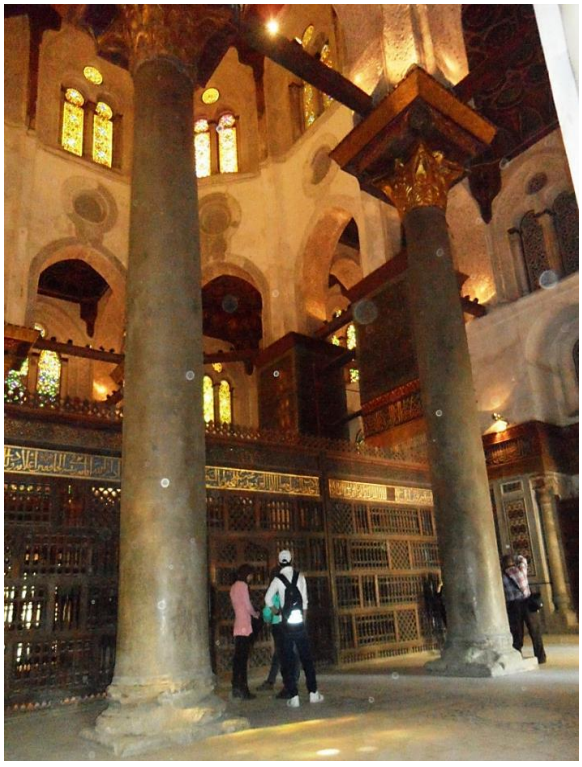

لوحة ١: الأعمدة الجرانيتية بقبة المنصور قلاوون

(تصوير الباحثة)

لوحة ٢: الأعمدة الجرانيتية بإيوان المدرسة المنصورية

(تصوير الباحثة)

لوحة ٣: مدرسة الناصر محمد – عمودين من الجرانيت الأسود ذو تيجان كورنثية بمحراب إيوان

لوحة ٤: مسجد الناصر محمد بالقلعة – الأعمدة الجرانيتية الفرعونية برواق القبلة (تصوير الباحثة)

لوحة ٥: الإيوان الكبير كما صوره علماء الحملة الفرنسية ويظهر به الأعمدة الجرانيتية الضخمة
نقلاً عن وصف مصر، لوحات الدولة الحديثة، ج ١٣، لوحة ٧٠

لوحة ٦: مسجد ألماس الحاجب– أحد الأعمدة الجرانيتية بأركان أروقة المسجد (تصوير الباحثة)

لوحة ٧: مسجد المرداني – الأعمدة الجرانيتية الفرعونية برواق القبلة (تصوير الباحثة)

لوحة ٨: جامع الست مسكة –الأعمدة الجرانيتية بأركان الأروقة ومطلة على صحن المسجد (تصوير الباحثة)

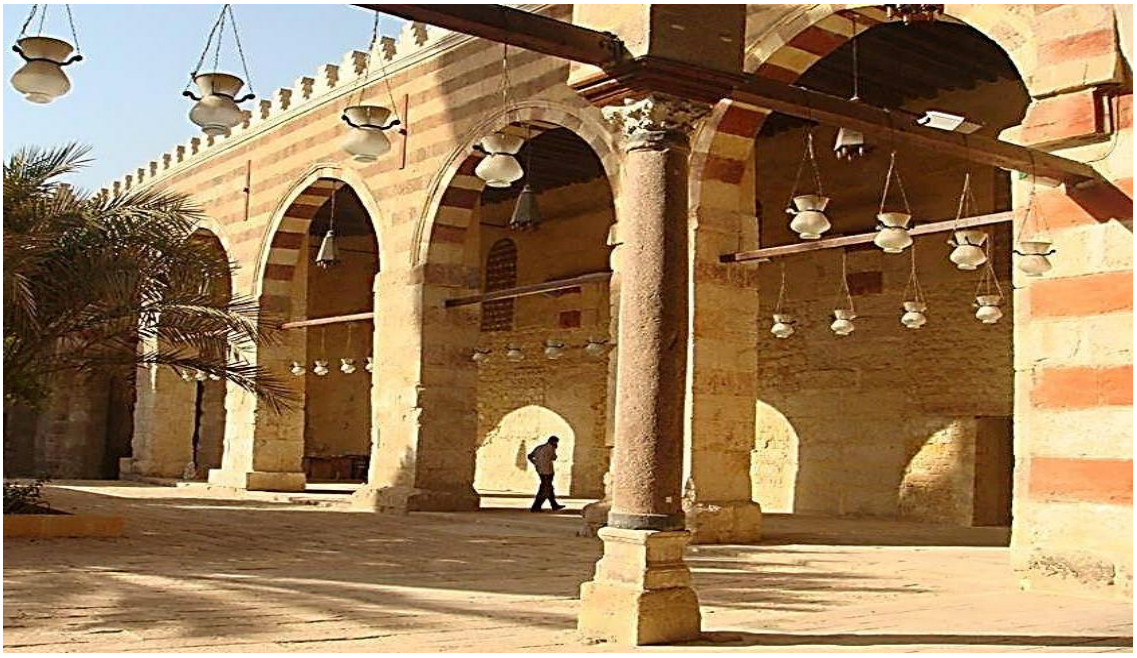

لوحة ٩: جامع آق سنقر – أحد الأعمدة الجرانيتية برواق القبلة ومطلة على صحن المسجد (تصوير الباحثة)

[١] فريد شافعي، *العمارة العربية في مصر الإسلامية: عصر الولاة*، (القاهرة، ١٩٧٠)، ٤٠٤-٤٠٥؛ محمد الأمين، ليلى إبراهيم، *المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية (٦٤٨-٩٢٣هـ) (١٢٥٠-١٥١٧م)*، (القاهرة، ١٩٩٠)، ٨٢؛ عاصم رزق، *معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية*، (القاهرة، ٢٠٠٠)، ١٨٢.

[٢] رزق، *معجم مصطلحات العمارة*، ٤٣، ٢١٩-٢٢٠.

[3] Oleg Grabar, *The Formation of Islamic Art* (Yale University press, New Haven and London, 1987), 104-109.

[٤] الحجر الصوان المعروف بالجرانيت، وقد أشار علماء الحملة الفرنسية في موسوعة وصف مصر لأنواع الحجر الصوان، مع تأكيدهم على أن كلمة صوان في اللاتينية هي نفسها كلمة جرانيت لتطابق مكوناتهما الجيولوجية، مع ذكر مكونات حجر الصوان وشكله. علماء الحملة الفرنسية، *وصف مصر*، ترجمة زهير الشايب، مني الشايب، (دار الشايب للنشر، ١٩٨٧-١٩٩٤)، ج ٣٤، ٦١-٧٦؛ ألفريد لوكاس، *المواد والصناعات عند قدماء المصريين*، ترجمة زكى اسكندر، محمد زكريا غنيم (القاهرة، ١٩٩١)، ٦٦٢.

[٥] أمين، إبراهيم، *المصطلحات المعمارية*، ٣٣؛ دعاء عبد السلام حسن محمد، *دراسة تحليلية لاستخدامات الأحجار الطبيعية في العمارة المملوكية بالقاهرة ومقارنة استخدامها في العمارة المعاصرة*، (رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الفنون الجميلة، جامعة حلوان، ٢٠٠٩)، ٢١، ٣٣.

[٦] محمد بن أحمد بن إياس الحنفي (ت ٩٣٠هـ/ ١٥٢٣-١٥٢٤م)، *بدائع الزهور في وقائع الدهور*، تحقيق محمد مصطفى، (مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، ط.٣، ٢٠٠٨) ج ١، ق ١، ٤٥.

[٧] محمد عبد الستار عثمان، *نظرية الوظيفية بالعمائر الدينية المملوكية بمدينة القاهرة*، (الإسكندرية، ٢٠٠٥)، ٤٣٥؛ Doris Behrens-Abouseif, *Cairo of the Mamluks: A History of the Architecture and its Culture,* (Cairo, 2007), 101.

[٨] تقي الدين أحمد بن علي المقريزي (ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١-١٤٤٢م)، *كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية*، (مكتبة الثقافة الدينية، د.ت)، ج ٢، ١٨٣.

[٩] ابن إياس، *بدائع الزهور*، ج ١، ق ١، ٢٧٠.

[١٠] انظر ترجمة المنصور قلاوون الألفي. المقريزي، *الخطط*، ج ٢، ٢٣٨؛ ابن تغري بردي، *المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي*، تحقيق محمد محمد أمين، (دار الكتب والوثائق القومية: القاهرة، ٢٠٠٥-٢٠٠٨)، ج ٩، ٩١-٩٧.

[١١] أثر رقم ٤٣، وتقع بمنطقة بين القصرين بشارع المعز لدين الله الجمالية، أنشأها المنصور قلاوون في الفترة بين ٦٨٣-٦٨٤هـ/١٢٨٤-١٢٨٥م. دليل الآثار الاسلامية بمدينة القاهرة، الإصدار الأول، مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار، المجلس الأعلى للآثار، ٢٠٠٠، ٥٩.

[١٢] بربا أي معبد فرعوني والجمع برابي؛ وهي كلمة معناها بيت الإله للدلالة على المعبد في مصر القديمة. وقد ورد مصطلح البرابي في المصادر العربية بتعريفات متباينة. انظر على سبيل المثال شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٥م)، *معجم البلدان*، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي، (بيروت، ١٩٩٠)، ج١، ٤٣١؛ أبو العباس شهاب الدين أحمد بن على القلقشندي (ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م)، *صبح الأعشى في صناعة الانشا*، (دار الكتب الخديوية، ١٩١٣) ج٣، ٣٢٦.

[١٣] إبراهيم بن محمد ابن أيدمر العلائي المشهور بابن دقماق (ت ٨٠٩هـ/ ١٤٠٦-١٤٠٧م)، *لانتصار لواسطة عقد الأمصار*، ج٤، ١١٠؛ المقريزي، *الخطط*، ج ٢، ١٨٤؛ ابن اياس، *بدائع الزهور*، ج١، ق١، ٢٧٢.

[١٤] حسن عبد الوهاب، "العمارة الإسلامية، عصر المماليك البحرية، المنصور قلاوون"، *مجلة العمارة*، المجلد الثالث، العدد ٢، (القاهرة، ١٩٤١)، ٨٥-٩٢؛ محمد حمزة الحداد، *السلطان المنصور قلاوون: تاريخ، أحوال مصر في عهده، منشآته المعمارية* (القاهرة، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣)، ١١٨-١٩٣؛ أحمد عبد الرزاق، *العمارة الإسلامية في مصر منذ الفتح العربي حتى نهاية العصر المملوكي (٢١-٩٢٣هـ/٦٤١-١٥١٧م)*، (دار الفكر العربي، ٢٠٠٩)، ٢٤٢-٢٤٣؛
K.A.C. Creswell, *The Muslim Architecture of Egypt* (Oxford, 1959) vol. II, 190-212; Behrens-Abouseif, *Cairo of the Mamluks*, 132-141.

[١٥] عن الناصر محمد بن قلاوون وفترات ولايته الثلاثة على مصر انظر: القلقشندي، *صبح الأعشى*، ج٣، ٤٣٦-٤٤٥؛ تقي الدين أحمد بن علي المقريزي (ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١-١٤٤٢م)، *كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك*، محمد مصطفى زيادة، (القاهرة، ٢٠٠٦) ج ٢، ق٢، ٥٢٣-٥٢٤؛ محمد عبد العزيز مرزوق، الناصر محمد بن قلاوون، أعلام العرب ٢٨ (القاهرة، ١٩٤٦).

[١٦] ابن دقماق؛ *الانتصار*، ج٤، ١١٠؛ المقريزي، *الخطط*، ج ٢، ١٨٤؛ ابن اياس، *بدائع الزهور*، ج١، ق١، ٢٧٢.

[١٧] مدرسة وقبة الناصر محمد بن قلاوون بالنحاسين، أثر رقم ٤٤، تقع بمنطقة بين القصرين بشارع المعز لدين الله بالجمالية، وقد أنشأت خلال ٦٩٥-٧٠٣هـ/١٢٩٥-١٣٠٣م. دليل الآثار الاسلامية، ص ٦٣؛ عاصم رزق، *أطلس العمارة الإسلامية والقبطية بمدينة القاهرة* (القاهرة، ٢٠٠٢-٢٠٠٣)، ط١، ج٢، ق١، ٢٣٤، ٢٣٦.

[١٨] حسن عبد الوهاب، "العمارة الإسلامية: دولة المماليك البحرية، عصر الناصر محمد بن قلاوون"، *مجلة العمارة*، المجلد الثالث، العدد ٧-٨، (القاهرة، ١٩٤١)، ٢٩٣-٢٩٤؛
Creswell, *MAE*, Vol. II, 234-240; Nicholas Warner, *The Monuments of Historic Cairo: A Map and Descriptive Catalogue,* (Cairo, 2004), 97; Behrens-Abouseif, *Cairo of the Mamluks*, 154-156.

[١٩] ابن دقماق، *الانتصار*، ج٤، ٧٦.

[٢٠] المقريزي، *الخطط*، ج ٢، ٣٠٤.

[٢١] أثر رقم ١٤٣، ويقع أمام جامع محمد على باشا بالقلعة، وقد أعاد الناصر محمد بناء جامع القلعة القديم فهدمه في ٧١٨هـ/١٣١٨م وأعاد إنشائه. ثم في عام ٧٣٥هـ/ ١٣٣٥م شرع الناصر في تجديد عمارة جامع القلعة وبنائه للمرة الثانية. عبد الرحمن زكي، *قلعة مصر من السلطان صلاح الدين إلى الملك فاروق الأول* (القاهرة، ١٩٥٠)، ٢٢؛ بول كازانوفا، *تاريخ ووصف قلعة القاهرة*، ترجمة أحمد دراج، مراجعة جمال محرز، (القاهرة، ١٩٧٤)، ١١٦-١١٧.

[٢٢] علماء الحملة الفرنسية، *وصف مصر*، ج ١٠، ٢٢٨-٢٣٠؛ آدم فرانسو جومار، *وصف مدينة القاهرة وقلعة الجبل: مع مقدمة عن التطور العمراني لمدينة القاهرة منذ إنشائها وحتى سنة ١٨٠٠*، ترجمة وتعليق أيمن فؤاد سيد، (القاهرة، ١٩٨٨)، ٢٣٥.

[٢٣] كازانوفا، *تاريخ ووصف قلعة القاهرة*، ١١٨-١١٩؛
Howayda al-Harithy, "The Patronage of al-Nasir Muhammad ibn Qalawun, 1310-1341", *MSR 4*, (2000), 228-229.

[٢٤] أبو بكر بن عبد الله بن أبيك الدواداري (ت ٧٣٦هـ/ ١٣٣١-١٣٣٢م)، *كنز الدرر وجامع الغرر*، ج ٩: الدرر الفاخر في سيرة الملك الناصر، تحقيق هانس روبرت رويمر، (القاهرة، ١٩٦٠-١٩٩٤)، ٣٨٢-٣٨٣.

[٢٥] الأبلق معناه السواد والبياض، وفي العمارة حلية معمارية استخدمت في العمائر في العصر المملوكي باستخدام حطتين متتاليين بالأسود والأبيض أو الأسود والأصفر سواء بالحجر أو الرخام أو غيره من مواد البناء. وقد انتشرت في مصر ظاهرة تلوين المداميك في واجهات عمائرها مثل خانقاه بيبرس الجاشنكير والقصر الأبلق. المقريزي، السلوك، ج٢، ق ٢، ٤٣٣، حاشية ٥؛ سامي عبد الحليم إمام، *الحجر المشهر: حلية معمارية بمنشآت المماليك في القاهرة*، (القاهرة، ١٩٨٤)، ط ١، ١٨-١٩؛ رزق، *معجم مصطلحات العمارة*، ص ١٠-١١.

[26] Doris Behrens-Abouseif, "The Citadel of Cairo: Stage for Mamluk Ceremonial", *AnIsl 24,* (1988),45; al-Harithy, *The Patronage of al-Nasir*, 224.

[٢٧] علماء الحملة الفرنسية، *وصف مصر*، ج ١٠، ٢٢٨-٢٣٠؛ بول كازانوفا، *تاريخ ووصف قلعة القاهرة*، ١٢٧؛ Behrens-Abouseif, *The Citadel of Cairo*, 51.

[٢٨] إيوان كلمة فارسية معربة من كلمة "إيفان"، وتعنى لغويًا قاعة العرش. والإيوان كلمة ذات مدلول تاريخي نسبة لإيوان كسرى. والإيوان في العمارة المملوكية يمثل وحدة معمارية مربعة أو مستطيلة الشكل لها ثلاث حوائط والحائط الرابع مفتوح، وإذا سد الإيوان من الجهة الرابعة يقال له مجلس. محمد أمين وليلى إبراهيم، *المصطلحات المعمارية*، ١٧؛ عاصم رزق، *معجم مصطلحات العمارة*، ٢١.

[٢٩] شهاب الدين أحمد بن يحيي ابن فضل الله العمري (ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨-١٣٤٩م)، *مسالك الأبصار في ممالك الأمصار: ممالك مصر والشام والحجاز واليمن*، تحقيق أيمن فؤاد سيد، (القاهرة، ١٩٨٥)، ٣٦-٣٨؛ القلقشندي، *صبح الأعشي*، ج ٣، ٣٧٣؛ المقريزي، *الخطط*، ج٢، ٢٠٨-٢١٠.

[٣٠] المقريزي، *الخطط*، ج٢، ٢٠٦؛ ابن إياس، *بدائع الزهور*، ج ١، ق ١، ٤٦٠.

[٣١] ابن إياس، *بدائع الزهور*، ج ١، ق ١، ٢٧٢.

[٣٢] ابن الدواداري، *كنز الدرر وجامع الغرر*، ج ٩، ٣٨٢-٣٨٣.

[٣٣] علماء الحملة الفرنسية، *وصف مصر*، ج ١٠، ٢٢٨-٢٣١؛ جومار، *وصف مدينة القاهرة*، ٨٩-٩٠، ٢٣٢، ٢٣٤؛ بول كازانوفا، *تاريخ ووصف قلعة القاهرة*، ١٢٥.

[٣٤] اختلف تقدير عدد أعمدة الإيوان الكبير الجرانيتية وفقًا لوصف المؤرخين والرحالة عبر العصور، وقد يرجع ذلك إلى تناقص عددها بالنقل أو الهدم. فقد أشار الرحالة التركي أوليا جلبي في القرن السابع عشر لرؤيته لعدد ٤٤ عمودًا بالإيوان، بينما لاحظ القنصل الفرنسي بالقاهرة "بينوا دي ماييه" منتصف القرن الثامن عشر وجود ٣٤ عمود وصفها بأنها ضخمة شاهقة الارتفاع. أوليا جلبي بن محمد ظلي (ت ١٦٨٢هـ؟/ ١٠٩٤م؟)، *سياحتنامة مصر*، ترجمة محمد عوني، تحقيق عبد الوهاب عزام، أحمد سليمان، (القاهرة، ٢٠٠٥)، ٦٢٦؛ بول كازانوفا، *تاريخ ووصف قلعة القاهرة*، ١٢٤-١٢٥؛ Behrens-Abouseif, *The Citadel of Cairo*, 42.

[٣٥] انظر ترجمة الأمير ألماس الحاجب. شهاب الدين أحمد بن على ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م)، *الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة*، (بيروت، ١٩٩٣)، ج ١، ٤١٠-٤١١؛ ابن تغري بردي، *المنهل الصافي*، ج ٣، ٨٩-٩٠؛ على مبارك، *الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة*، (القاهرة، ١٨٨٧-١٨٨٨م)، ج ٤، ٦٠.

[٣٦] أثر رقم ١٣٠، ويقع بشارع الحلمية بمنطقة الخليفة، بناه الأمير ألماس الحاجب عام ٧٣٠هـ/١٣٢٩م. دليل الآثار الاسلامية، ٧٥؛ رزق، أطلس العمارة الإسلامية، ج٢، ق ١، ٥٩٦-٥٩٨.

[٣٧] حسن عبد الوهاب، *تاريخ المساجد الأثرية التي صلى فيها فريضة الجمعة حضرة صاحب الجلالة الملك الصالح فاروق الأول* (القاهرة، ١٩٤٦)، ج ١، ١٣٦-١٣٨؛

Creswell, *MAE*, vol. II, 162; al-Harithy, *The Patronage of al-Nasir*, 230; Behrens-Abouseif, *Cairo of the Mamluks*, 180-183.

[٣٨] أثر رقم ١٢٠، ويقع بشارع التبانة بالدرب الأحمر، بناه الأمير الطنبغا المرداني الساقي بين عامي ٧٣٨-٧٤٠هـ/ ١٣٣٧-١٣٩م. دليل الآثار الاسلامية، ص ٨٣. وانظر ترجمة المرداني: المقريزي، *الخطط*، ج ٢، ٣٠٧-٣٠٨؛ ابن حجر العسقلاني، *الدرر الكامنة*، ج ١، ٤٠٩؛ ابن تغري بردي، *المنهل الصافي*، ج ٣، ٦٧-٧٠.

[39]Doris Behrens-Abouseif, *Cairo of the Mamluks*, 185.

[٤٠] المقريزي، *الخطط*، ج٢، ٣٠٨؛ ابن تغرى بردى، *النجوم الزاهرة*، ج ٩، ١١٢.

[٤١] عبد الوهاب، *تاريخ المساجد الأثرية*، ج ١، ١٤٧؛ محمد مصطفى نجيب، "جامع المرداني" في حسن الباشا وآخرون، *القاهرة: تاريخها، فنونها، آثارها* (القاهرة، ١٩٧٠)، ٤٨٩، ٤٩١-٤٩٢؛ عبد الرازق، *العمارة الإسلامية*، ٢٧٣-٢٨٠؛

al-Harithy, *The Patronage of al-Nasir*, 232; Behrens-Abouseif, *Cairo of the Mamluks*, 183-185.

[٤٢] مسجد الست مسكة أو الست حدق، أثر رقم ٢٥٢، ويقع في شارع سوق مسكة بالسيدة زينب، أنشأته الست مسكة مربية الناصر محمد بن قلاوون عام ٧٤٠هـ/١٣٣٩م. دليل الآثار الاسلامية، ص ٨٧. وانظر عن ترجمة الست مسكة المقريزي، *الخطط*، ج ٢، ٣١٣، ٣٢٦؛ ابن حجر العسقلاني، *الدرر الكامنة*، ج ٢، ٧.

[٤٣] مبارك، *الخطط التوفيقية*، ج ٤، ٨٢، ١٧١، ج ٥، ١١٥، ٢٦٢-٢٦٣؛ سعاد ماهر، *مساجد مصر وأولياؤها الصالحون*، (القاهرة، ٢٠١٢)، ج٣، ٢٢٧-٢٢٨؛

Caroline Williams, "The Mosque of Sitt Hadaq", *Muqarnas11* (1994), 55-64; al-Harithy, *The Patronage of al-Nasir*, 231.

[٤٤] أثر رقم ١٣٣، ويقع بشارع باب الوزير بالدرب الأحمر، بناه آق سنقر بين عامي ٧٤٧-٧٤٨هـ/ ١٣٤٦-١٣٤٧م. دليل الآثار الاسلامية، ٨٧؛ عاصم رزق، *أطلس العمارة الإسلامية*، ج٢، ق ٢، ٨٩٦، ٨٩٨. وانظر ترجمة آق سنقر ابن حجر العسقلاني، *الدرر الكامنة*، ج ١، ٣٩٤؛ ابن تغرى بردي، *المنهل الصافي*، ج٢، ٤٩٦-٤٩٨.

[٤٥]علي مبارك، *الخطط التوفيقية*، ج٤، ٤٤؛ رزق، *أطلس العمارة الإسلامية*، ج٢، ق ٢، ٨٩٦، ٨٩٨؛ عبد الرزاق، *العمارة الإسلامية*، ٢٨٦-٢٨٨؛ سعاد ماهر، *مساجد مصر*، ج٣، ٢٣٧-٢٤٠؛

Michael Meinecke, "Die Moschee des Amirs Aqsunqur an-Nasiri in Kairo", *MDAIK* 29 (1973), 9-38; Behrens-Abouseif, *Cairo of the Mamluks*, 187-189.

[٤٦] علماء الحملة الفرنسية، *وصف مصر*، ج ٢٨، ٣٠٧-٣٠٨.

[47] Michael Greenhalgh, *Marble Past, Monumental Present: Building with Antiquities in the Mediaeval Mediterranean*, (Leiden, 2009), 463.

[٤٨] حسن عبد الوهاب، "الآثار المنقولة والمنتحلة في العمارة الإسلامية"، *حوليات المجمع العلمي المصري*، القاهرة ٩ (أبريل)١٩٥٦، ٢٥٨.

[٤٩] انظر وصف علماء الحملة الفرنسية لطراز تيجان أعمدة الإيوان الكبير وهي من نفس طراز تيجان أعمدة جامع الناصر محمد في وصف مصر، ج ١٠، ٢٢٩-٢٣٠؛ جومار، *وصف مدينة القاهرة*، ٢٣٢.

[50] Greenhalgh, *Marble Past*, 15-16.

[٥١] عثمان، *نظرية الوظيفية*، ٤٤.

[٥٢] محيي الدين أبو الفضل ابن عبد الله ابن عبد الظاهر (ت ٦٩٢هـ/١٢٩٢-١٢٩٣م)، *تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور*، تحقيق مراد كامل (القاهرة، ١٩٦١)، ٥٥-٥٦؛ المقريزي، *الخطط*، ج٢، ١٨٤؛ بينما يذكر ابن إياس أن المدة التي استغرقها البناء عشرة أشهر، ابن إياس، *بدائع الزهور*، ج ١، ق ١، ٣٥٣؛ عبد الوهاب، "العمارة الإسلامية، عصر المماليك البحرية، المنصور قلاوون"، ٨٥.

[53] Doris Behrens-Abouseif, "Between Quarry and Magic: The Selective Approach to Spolia in the Islamic Monuments of Egypt" *in Dalmatia and the Mediterranean: Portable Archaeology and the Poetics of Influence,* Alina Payne, (ed.), (Boston; Leiden: Brill, 2014), 405.

[٥٤] لبعض الأمثلة عن الكتل الجرانيتية المصرية المستخدمة كأعتاب وما سواها انظر، عبد الوهاب، *الآثار المنقولة*، ٢٥٦، ٢٥٨.